مكانة الأسرة ودورها في غرس قيم التكافل والتضامن والتسامح

في الأزمات والمحن – المغرب أنموذجا –

عمر ايت سي موح – أستاذ التعليم الابتدائي

جمال لعفو – باحث في سلك الدكتوراه، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة

المغرب

الموضوع: تتعدد أدوار الأسر بين ما هو تربوي واقتصادي واجتماعي، ولها مكانة جوهرية في تعزيز ونشر قيم الكافل والتضامن والتسامح سواء لدى الفرد أو المجتمع خاصة في اللحظات التي تتسم بالأزمات والمحن.

موجز البحث:

يعالج هذا البحث مكانة الأسرة ودورها في غرس قيم التكافل والتضامن والتسامح في الأزمات والمحن، المغرب أنموذجا. فلا شك أن الأسرة في الآونة الأخير في معركة صراع من أجل البقاء، نظرا لما تعيشه من هجوم على كافة الأصعدة والمستويات، أمام صعود الرأسمالية الليبرالية وسيادة ثقافة الفردانية وهيمنة المصالح الشخصية على حساب القيم الجماعية، وفي المقابل تهميش دور الأسرة، وتبخيس مكانتها، وأدوارها التربوية، والتكوينية..

فالأسرة المغربية غير بعيدة عن هذا التغير القيمي والأخلاقي الذي مس الأسرة ككل في كيانها. لكن هذه التحديات كلها لم تمنعنا من رصد الأدوار الجوهرية التي ما فتئت تقوم بها الأسرة المغربية، فهي أساس المجتمع برمته، وتلعب دورا حيويا في غرس وتعزيز قيم التكافل والتضامن والتسامح في المجتمعات، كما إن تكوين هذه القيم يساهم بشكل أساسي في تعزيز الاستقرار والتواصل السلمي خلال الأزمات والمحن.

للأسرة المغربية إذن مكانة كبيرة في الإسلام، فهي المحضن الذي ينشأ فيه الإنسان، وهي المسؤولة عن تربيته وتنشئته، فهي المنشأ الأول الذي يتلقى فيه الفرد المبادئ والقيم والاتجاهات والميول لذلك نجد في الإسلام التركيز على البناء الصحيح للفرد من خلال التوجيهات المتخذة حيال تكوين الأسرة بدءاً باختيار الزوجة الصالحة مروراً بالتحصينات المبذولة في سبيل حماية النشء ووقايتهم من الانحراف، إلى توفير احتياجات الأفراد المادية والمعنوية والوجدانية، إلى وجوب مراعاة الأمانة في تربية النشء. وقد حث الإسلام على أهمية الأسرة، وجعلها ركيزة المجتمع وقاعدته، يقول تعالى {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (النور: 32.) . وتتعدد أدوار الأسرة لتشمل ما هو تربوي واقتصادي واجتماعي، كما لها مكانة جوهرية في تعزيز ونشر قيم التكافل والتضامن والتسامح سواء لدى الفرد أو المجتمع خاصة في اللحظات التي تتسم بالأزمات والمحن والكوارث الطبيعية.

Abstract

This research deals with the status of the family and its role in instilling the values of solidarity, solidarity and tolerance in crises and adversities, Morocco as a model. There is no doubt that the family has recently been in a battle for survival, due to the attack it is experiencing at all levels and levels, in the face of the rise of liberal capitalism and the prevalence of the culture of individualism and the dominance of personal interests at the expense of collective values, and in return the marginalization of the role of the family, and the underestimation of its status , educational and training roles.

The Moroccan family is not far from this moral and ethical change that has affected the family in its being. However, all these challenges have not prevented us from monitoring the essential roles that the Moroccan family has always played, as it is the basis of society, as it plays a vital role in instilling and promoting the values of solidarity, solidarity and tolerance in societies, and the formation of these values contributes mainly to promoting stability and peaceful communication during crises and adversities.

Therefore, we find in Islam a focus on the correct construction of the individual through the directives taken regarding the formation of the family, starting with the choice of a good wife through the immunizations made to protect young people and prevent them from delinquency, to provide for the material and moral needs of individuals. And sentimental, to the necessity of considering honesty in the education of young people. Islam has urged the importance of the family, and make it the pillar of society and its base, says the Allah { And marry the unmarried among you and the righteous among your male slaves and female slaves. If they should be poor, Allah will enrich them from His bounty, and Allah is all-Encompassing and Knowing.} (Al-Nur: 32).The roles of the family are multiplied to include what is educational, economic and social, and it also has a fundamental place in promoting and spreading the values of solidarity, solidarity and tolerance, whether among the individual or society, especially in moments characterized by crises, tribulations and natural disasters.

الدراسات السابقة:

تعتبر الأسرة من المواضيع المهمة التي يجب إيلاءها أهمية قصوى تليق بها من طرف علماء الاجتماع والمختصين والباحثين، وذلك لما لها من وظائف جمة في المجتمع. ولذلك كانت هناك أبحاث تطرقت لمفهوم الأسرة وأهميتها في المجتمع بشكل عام دون التطرق لها بشكل خاص، وبالخصوص ترسيخ بعض القيم التي لها أثر بالغ على الفرد والمجتمع، ولذلك جاء هذا البحث للوقوف على بعض هذه الوظائف والأدوار المنوطة بالأسرة في ترسيخ قيم التضامن والتكافل والتسامح، ومن هذه الدراسات السابقة وجدنا مايلي:

- قام الباحث عثمان إمام السيد ببحث تحت عنوان "دور الأسرة في غرس قيم الصدق لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة مع تقديم تصور مقترح" سنة 2015، هدف البحث إلى التعريف بالصدق وتوضيح أدوار الأسرة في غرس القيم بوجه عام وقيمة الصدق بوجه خاص في مرحلة الطفولة المبكرة، مع تقديم تصور مقترح لبرنامج غرس قيمة الصدق داخل الأسرة في مرحلة الطفولة المبكرة.
- قام الباحث مثيب البقمي ببحث تحت عنوان " إسهامات الأسرة في تنمية القيم لدى الشباب "سنة 2016، هدف من خلاله إلى بيان أهمية القيم الاجتماعية في وقاية الشباب من الانحراف، وحاول إبراز أهمية مرحلة الشباب وموقفهم من القيم، وأهمية الأسرة والدور المطلوب منها في تنمية القيم الاجتماعية للشباب.
- كما قامت الباحثة حنان بدور ببحث تحت عنوان "الأهمية التربوية للأسرة الممتدة وأسباب تراجع دورها-دراسة تربوية إسلامية " سنة 2018، هدف البحث إلى معرفة أهمية الأسرة الممتدة في المجتمع وكذا الأسباب التي أدت إلى تراجع أدوارها على الفرد والمجتمع.

يتبين من خلال البحوث السابقة أنه لا يتوفر أي بحث يتطرق لمكانة الأسرة في غرس قيم التضامن والتكافل والتسامح في الأزمات والمحن، بالرغم من أن هذه البحوث أشارت إلى دور الأسرة في غرس القيم بوجه عـــام إلا أنها لم تتطرق لهذه القيم الثلاث التي تتطرق لها هذا البحث.

الإشكالية:

منذ أن وجد الإنسان على البسيطة وهو يسعى جاهدا إلى تكوين أسرة قادرة على منحه القـــوة الكافيـــة لمواجهة الأزمات الطبيعية ومن الكائنات الأخرى التي تهدد وجوده على الأرض، ولهذا فهو مدني بالطبع حســـب تعبير أرسطو، مادام العيش في الوحدة يجني عليه مجموعة من المشاكل النفسية والمادية والمعنوية ويجعله في انقطـــاع عن العالم.

فإذا كانت الأسرة تساهم في نسج علاقات بين الأفراد المنتمين إليها، فإن هؤلاء الأفراد يؤثرون مصـــالحهم الخاصة على حسابها، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الأسرة لها دور جوهري ومكانة مرموقة في بنـــاء قـــيم التضامن والتسامح والتكافل التي تمتن الروابط الوجدانية بين أفرادها لتحقيق الأمن والسلام، وفي نفس الوقت فهي مهددة من طرف قيم فردانية وليبرالية تتجاوز كيانها.

- فما الأسرة وما عناصرها؟
- ما هي وظائف الأسرة في المجتمع؟
- أية مكانة للأسرة في ترسيخ قيم التضامن والتسامح والتكافل؟
- أين تكمن التحديات والعوائق التي تواجه صمودها؟
- وما أثار هذه القيم على الفرد والمجتمع؟

مصطلحات البحث:

ـ**الأسرة**: الأسرة في اللغة هي الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته[1]، وتطلق على الجماعات التي يربطها أمر مشترك، وجمعها أسر[2].جاء في معجم علم الاجتماع أن الأسرة هي عبارة عن جملة من الأفراد يرتبطون معا بروابط الزواج والدم والتبني ويتفاعلون معا[3].

وعرفها **أوغست كونت** بأنها "الخلية الأولى في جسم المجتمع، وأنها النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور، وأنها الوسط الطبيعي الذي يترعرع فيه الفرد."[4]أما **لندبرج** فقد عرفها بأنها: " النظام الإنساني الأول ومن أهم وظائفها إنجاب الأطفال والمحافظة على النوع الإنساني كما أن النظم الأخرى لها أصولها في الحياة الأسرية، فأنماط السلوك الاجتماعي والاقتصادي، والضبط الاجتماعي والتربية والترفيه والدين نمت أولا داخل الأسرة."[5]

ونجد الباحث **محمد حسن** يعطي تعريفا للأسرة في كتابه الأسرة ومشكلاتها، ويقول بأن: «الأسرة جماعة من الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض، وهي تعتبر الهيئة الأساسية التي تقوم بعملية التطبيع الاجتماعي للجيل الجديد، أي أنها تنقل إلى الطفل خلال نموه جوهر الثقافة لمجتمع معين."[6]

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الأسرة هي وحدة أساسية في المجتمع تتكون من مجموعة من الأفراد الذين يتشاركون في العيش معا ويتفاعلون مع بعضهم البعض بشكل يومي، فمنها يبدأ التطور واكتساب كل جديد وفيها ينمو كل فرد ويترعرع، ليعمل هو الآخر على نفس الطريقة للحفاظ على النوع الإنساني من أجل البقاء على الأرض.

ـ**التضامن**« التضامن الاجتماعي هو التعاون والعمل بين أفراد المجتمع لتحقيق الأهداف الاجتماعية والتكافل الاجتماعي، ويبنى ذلك على قواعد مشتركة دون أيّ تحيّز أو تمييز بين الأشخاص المشاركين والمتعاونين من ناحية الجنس، أو العرق، أو الأصل، أو الفكر، بالإضافة إلى أن التضامن الاجتماعي سلوك إنساني حثّ عليه

الإسلام، وركيزة أساسية في المجتمع البشري تدفع الناس لمساعدة بعضهم البعض بما يحقق الصالح العام والفوائد لجميع أفراد المجتمع.»[7]

التضامن هو مصطلح يُستخدم للإشارة إلى مفهوم الوحدة والتكافل بين الأفراد أو الجماعات في المجتمع، كما يعبر عن الدعم والمشاركة المشتركة بين الأفراد أو الجماعات في سبيل تحقيق أهداف مشتركة أو مواجهة تحديات مشتركة اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية أو بيئية.

ومن ذلك فالتضامن يعكس فكرة الاعتماد المتبادل والتعاون بين الأفراد أو الجماعات في المجتمع لمواجهة التحديات الاجتماعية مثل الفقر والعدالة الاجتماعية، كما يسهم في تعزيز التقدم والازدهار الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع بشكل عام. وله عدة تمظهرات في المجتمع من خلال مجموعة متنوعة من الأنشطة والمبادرات مثل التبرع بالوقت أو المال لمؤسسات خيرية، والمشاركة في حملات توعوية اجتماعية، ودعم الأشخاص الذين يحتاجون إلى مساعدة.

ـ التكافل: التكافل هو مفهوم اجتماعي واقتصادي يشير إلى التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع لمساعدة بعضهم البعض في تلبية احتياجاتهم الأساسية، ويعتمد التكافل على مبدإ المشاركة وتقديم المساعدة للأفراد الذين يحتاجون إلى دعم، سواء فيما يخص الرعاية الصحية، أو التعليم، أو المسكن، أو حتى في مواجهة الكوارث والأزمات.

إن تضامن أبناء المجتمع ومساندتهم بعضهم البعض سواء أكانوا أفرادا أو جماعات، حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم...أو سلبية كتحريم الاحتكار... بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده."[8]وتكون عمليات التكافل مبنية على العلاقات الاجتماعية والثقة بين أفراد

المجتمع، كما يمكن أن تكون هذه العمليات مؤسسية، مثل الضمان الاجتماعي والتأمين الصحي الحكومي، أو تكون غير رسمية مثل المساعدة المتبادلة بين أفراد الأسرة أو الجيران أو بين أفراد المجتمع.

1) البنية التكوينية للأسرة وعناصرها.

تتكون الأسرة من مجموعة من الأفراد والذين يتشاركون في العيش معا ويتفاعلون وفق منظومة من القيم والمواقف والمبادئ والخصائص من أجل تحقيق الاستقرار والتواصل بين مختلف عناصرها، وتختلف عناصر الأسرة من ثقافة لأخرى ومن شخص لآخر، غير أن هناك بعض العناصر الأساسية التي تشملها معظم الأسر، نذكر منها:

_الأجداد: يشكلون جزءا مهما من الأسرة والعائلة، كونهم الجيل الذي يسبق الوالدين اللذين يأتيان بعد الأجداد، فهم يلعبون دورا كبيرا في حياة الأسرة والأحفاد ويقدمون الدعم والمساعدة بشكل عام، ويقومون بوظائف عدة نذكر منها:

المشورة والتوجيه: فهما يقدمان للأجيال اللاحقة بفضل تجاربهم الحياتية الطويلة المشورة والتوجيه، ويشاركون تجاربهم وحكمتهم في التعامل مع التحديات واتخاذ القرارات الهامة، ويعتبران مصدرين مهمين للدعم العاطفي في الأسرة خصوصا مع الأحفاد، ذلك أنه يمكنهم تقديم الحب والاهتمام وتعزيز الروابط العائلية، ويمارسان الرعاية في بعض الأحيان لأحفادهم عندما يحتاج الوالدين إلى مساعدة إضافية أو عندما يكون هناك حاجة لرعاية إضافية للأطفال نظرا لتجربتهم العميقة والطويلة، وتقديم الدعم المادي في بعض الحالات للأسرة سواء أكان ذلك من خلال المساعدة في تعليم الأحفاد أو تقديم المساعدة المالية في الحالات الضرورية أو توفير المستلزمات الضرورية للبيت ، كما يسهمان كذلك في الحفاظ على التقاليد والقيم ونقلها للأجيال اللاحقة عن طريق التربية والتعليم، وهذا ما يساعد بشكل فعال في الحفاظ على الهوية الثقافية والأسرية والعائلية.

ـ الأبوين: هما الشخصان الرئيسيان اللذان يشكلان نواة الأسرة ويلعبان دورًا حاسمًا في تربية الأطفال وغرس القيم النبيلة وإدارة الحياة الأسرية وفيما يلي بعض الأدوار والمسؤوليات الرئيسية لكل من لأب والأم في الأسرة:

ـ الأب: يعتبر الأب عادة رئيس الأسرة ومقدم الدعم المالي والمعنوي لسد حاجيات الأسرة ماديا ومعنويا، ويلعب دورا حاسما في توجيه الأبناء وتعليمهم القيم والأخلاق، كما يعمل أيضا على توفير الأمن والاستقرار في الأسرة من حيث المأكل والمشرب والمسكن والرعاية الصحية، ويشجع الأبناء على تطوير مهاراتهم ودعم تعليمهم والتخطيط لمستقبلهم كما لسلطة الآباء لها دور حاسم في تأطير وتوجيه الأبناء ،"إن سلطة الأب تشكل القاعدة التي تكمل حنان الأم وتحقق بالتالي تربية متوازنة للطفل، حيث تعقله بفردانيته وتشعره بوجود الآخر وبضرورة الانفتاح عليه"[9] .

ـ الأم: تعتبر عادة رمز العناية والحنان في الأسرة، التي تعتني بالأبناء منذ الولادة وتلبي احتياجاتهم اليومية مثل التغذية والنظافة والرعاية الصحية، كما تلعب دورا هاما في تنمية العلاقات الاجتماعية والعاطفية للأبناء وتعزيز تطويرهم النفسي والعقلي والسلوكي والوجداني، وتسهم أيضا بشكل فعال في توجيه الأبناء من خلال تعليمهم القيم والأخلاق والتعامل الاجتماعي، وإدارة شؤون البيت وتنظيم الأمور اليومية.

ـ الأطفال: هم الأفراد الصغار في الأسرة ويمثلون جيل المستقبل وصلة وصل مع الأجيال القادمة، وتلعب الأسرة دورا حاسما في تربية ورعاية الأطفال «ومن الطبيعي أن تشكل الأسرة، باعتبارها فضاء حميميا وموطنا للرعاية ومكانا للعيش البيئة القوية التأثير في نمو الطفل وتفتق شخصيته."[10] ذلك أنها تعمل على توفير البيئة المناسبة لنموهم وتطورهم كتوفير الحماية والرعاية والتعليم والقيم والأخلاق واللعب والترفيه وتنمية مهارات التواصل معهم وفيما بينهم.

_الأقارب: قد تتضمن الأسرة أيضا أفرادا آخرين من العائلة الموسعة، مثل الأجداد والأعمام والعمات والأخوال والخالات والإخوة والأخوات، والذين يمكن أن يسهموا في تشكيل تجربة الأسرة.

_عناصر الشبكة الاجتماعية: الأصدقاء والجيران وزملاء العمل والمعارف وغيرهم ممن يمكن أن يكونوا جزءا من حياة الأسرة ويسهموا في تكوين وتمتين العلاقات الاجتماعية للأسرة.

2)المحددات والشروط المساهمة في نشأة الأسرة.

تؤثر العديد من المحددات والشروط في نشأة الأسرة، وتلعب دورا مهما في تشكيل هيكل وديناميات الأسرة[11]، وفيما يلي بعض منها:

أ) **الزواج:** يعتبر الزواج الخطوة الأولى في تأسيس وتشكيل ونشأة الأسرة، كما أن أسباب وطرق الزواج تختلف من شخص لآخر وتتضمن العواطف والمصالح الاقتصادية والاجتماعية، ولكي يؤسس هذا الزواج الأسرة فإنه يتطلب أمورا عدة نذكر منها، أولا: الحب والتوافق، ويعتبر الحب والتوافق بين الشريكين عاملا أساسيا في نجاح الزواج ونشأة الأسرة، خصوصا إذا كان الزوجان يحبان بعضهما ويتفقان فيما يتعلق بالقيم والأهداف والطموحات، فإن هذا يزيد من فرص نجاح العلاقة الزوجية داخل الأسرة. ثانيا: الاستقرار المالي للأسرة الذي يلعب دورا مهما في نشأتها، لذلك يجب أن يكون لدى الزوجين وسائل كافية لتلبية احتياجاتهم الأساسية واحتياجات أسرتهم. ثالثا: الدعم الاجتماعي، له تأثير من الأهل والأصدقاء والمجتمع المحيط الذي يمكن أن يكون كبيرا. ويمكن لهؤلاء الأشخاص أن يقدموا الدعم العاطفي والمساعدة في تخطي التحديات والمشكلات التي قد تواجه الأسرة. رابعا: الثقافة والقيم، تلعب الثقافة والقيم الدينية دورا في تشكيل نمط الزواج والأسرة، كما أنها تؤثر على الأدوار المنتظرة للزوجين والأطفال وكيفية التفاعل في الأسرة. خامسا: التواصل الجيد، فالتواصل الفعال بين الزوجين يعزز فهمهما المتبادل وقدرتهما على حل المشكلات والتعامل مع التحديات والقدرة على التحدث والاستماع بعناية التي تسهم في بناء علاقة زوجية

صحية. أخيرا: التخطيط الجيد للمستقبل: يجب على المقبلين على الزواج التفكير في الأمور المتعلقة بالأسرة قبل تأسيسها، مثل عدد الأطفال الذين في استطاعتهم التكفل بهم ومكان الإقامة بقدر دخلهم المادي وتحديد كيفية تدبير أمور بيتهم بعد الزواج ...

ب) **العوامل الاقتصادية**: يؤثر الوضع الاقتصادي للزوجين بشكل كبير في نشأة الأسرة، والذي يرتبط بمستوى الدخل والعمل والإنفاق وقدرة الأسرة على تلبية احتياجاتها المالية، و ذلك من خلال الخطوات التالية:

- **الدخل الفردي**: يعتبر الدخل الفردي من أهم العوامل التي تؤثر على قرار الأفراد بشأن تكوين الأسرة، وعادة ما يحتاج الأفراد إلى دخل مستقر ومكفول لتلبية احتياجات الأسرة الأساسية مثل الإيجار، الغذاء، التعليم والرعاية الصحية.

- **الاستقرار في العمل**: يعتمد تكوين الأسرة بشكل كبير على استقرار وظيفة الأفراد وفرص العمل المتاحة لهم، فالوظائف ذات الدخل الثابت والمستدام تسهم في توفير الاستقرار المالي للأسرة.

- **تكاليف العيش**: تؤثر تكاليف العيش المرتبطة بالمنطقة التي تعيش فيها الأسرة على قرار تكوين هذه الأسرة، خاصة إذا كانت التكاليف مرتفعة بشكل كبير، فقد يكون من الصعب على الأفراد تحمل تكاليف إعالة أسرهم.

- **الالتزامات المالية**: الالتزامات المالية هي عامل مهم في تحديد ما إذا كان من الوارد تكوين أسرة جديدة أم لا، فإذا كان هناك العديد من الديون أو التزامات مالية تعيق القدرة على توفير احتياجات الأسرة، فقد يؤجل الأفراد قرار تكوين الأسرة حتى يتمكنوا من إدارة هذه الديون والالتزامات بفعالية.

- **السياسات الحكومية**: تلعب السياسات الحكومية دورا هاما في التأثير على العوامل الاقتصادية التي تسهم في نشأة الأسرة. على سبيل المثال، الدعم الحكومي للأسر والسياسات الاقتصادية التي تؤثر على فرص العمل والتعليم والتي تلعب دورا كبيرا في قرارات تكوين الأسرة.

ج) **العوامل الثقافية والدينية**: تلعب القيم والمعتقدات الثقافية والدينية للزوجين دورا هاما في تكوين وإدارة الأسرة، فالقيم والمعتقدات تلعب دورًا مهمًا في تحديد توجهات الأسرة وسلوكياتها، على سبيل المثال لا الحصر، في

بعض الثقافات يتم وضع التركيز الكبير على وحدة الأسرة والالتزام بالتقاليد والقيم الدينية، ونجد أيضا بأن الـــزواج المبكر في بعض الثقافات من الأمور الهامة في تكوين الأسرة والتي يجب أن تتم في وقت مبكر، بينما في ثقافات أخرى يمكن أن يكون الزواج أمرا غير ملزم و يتم تأجيله، كما أن اختلاف هيكل الأسرة من ثقافة لأخرى يمكن أن يجعـــل الأسرة النووية[12] هي الشكل الأساسي في بعض الثقافات، بينما تتضمن هياكل أخرى الأجيال المتعـــددة أو الأســـر الممتدة[13].

يجدر بالذكر أن هذه العوامل ليست ثابتة ويمكن أن تتغير مع مرور الزمن وحسب التطـــورات الاجتماعيـــة والثقافية في كل بلد.

د) **العوامل الاجتماعية**: إن العلاقات مع الأهل والأصدقاء والجيران تلعب دورا في تشكيل تجربـــة الأســـرة والدعم الاجتماعي الذي تحصل عليه، ومن هذه العوامل نذكر:

- التفاعلات الاجتماعية داخل الأسرة الممزوجة بالعادات والمعتقدات الدينية والاجتماعية والتوقعات المجتمعية بشأن الزواج والأدوار الجنسية والتربية.
- الضغوطات الاجتماعية النابعة من المجتمع والأصدقاء ووسائل الإعلام يمكن أن تؤثر على قرارات الأســـرة وتوجيهاتها.
- التغيرات الديموغرافية التي تتجلى في عوامل عدة مثل معدل الزيادة السكانية وتغير هياكل الأســـرة (مثـــل الأسرة الصغيرة أو الأسرة الممتدة) والتي تؤثر على نمط الحياة والتواصل الاجتماعي داخل الأسرة.

ه) **العوامل الصحية**: تؤثر الصحة الجسدية والنفسية لأفراد الأسرة في نشأتها وسلامتها، خاصة إذا كان هناك مشاكل صحية في الأسرة، فقد تكون هذه محور اهتمام كبير، يجب أن يكون الآباء والأمهات بصحة بدنيـــة جيـــدة قادرين على رعاية أنفسهم ورعاية أطفالهم، وبصحة عقلية جيدة تؤهلهم لتربية أطفالهم وتوعيتهم قصد خلق دينامية بين أفراد الأسرة تقودهم إلى ما فيه صلاح للفرد والأسرة والمجتمع، وإلى اتخاذ القرارات المناسبة لأطفالهم، ولا ننسى

أهمية الصحة العاطفية في تربية الأطفال على إظهار الحب والدعم داخل عناصر الأسرة، كما تؤثر الأمراض المزمنة، مثل مرض السكري وأمراض القلب، على قدرة الآباء والأمهات على رعاية أطفالهم، ونفس الشيء بالنسبة للمشاكل العقلية والعاطفية ، مثل القلق والاكتئاب وسوء المعاملة والعنف بمختلف أشكاله.

3) وظائف وأدوار الأسرة في غرس قيم التضامن والتكافل والتسامح.

لا شك أن للأسرة وظائف جمة في غرس قيم التضامن والتكافل والتسامح ، إذ تعتبر بيئة رئيسية لتكوين الأفراد ونقل القيم والمبادئ الاجتماعية إلى الأجيال الصاعدة، وتشجع هذه القيم الاجتماعية على التعاون والدعم المتبادل بين الأفراد والمجتمع بشكل عام، وفيما يلي بعض وظائف الأسرة في ترسيخ هذه القيم.

أ) **إعطاء القدوة أو النموذج الحي**: يتعلم الأطفال من خلال المراقبة والاقتداء بأفعال والديهم وتصرفاتهم، "فبالتأكيد إن الأسرة لا تشكل فقط الوسط العاطفي الذي يؤمن التفتح النفسي والتفتق الشخصي للطفل بل هي أيضا وسط اجتماعي تتفاعل فيه كمية هائلة من العلاقات والأفعال"[14] لأن الأسرة هي أول مصدر لتعلم الأطفال، وبالتالي يمكنها تقديم نموذج حي إيجابي وقدوة حسنة للتضامن من خلال التعامل الحسن والمساعدة المتبادلة بين أفرادها من جهة، وبين أفرادها وأفراد من أسرة أخرى في الأوقات الصعبة من جهة أخرى. فعندما يرى الأطفال والديهم يتصرفون بتضامن مع الآخرين فإنهم يتعلمون هذه القيم ويطبقونها في حياتهم الخاصة، ويمكن ذكر نماذج منه على سبيل المثال لا الحصر: الفرد الذي يتطوع في إحدى الجمعيات الخيرية لمساعدة الفقراء والمحتاجين فهو يتميز عن غيره بروح الكرم والعطاء فلا يتردد في تقديم المساعدة للآخرين، والجمعيات التي تنظم حملة لجمع التبرعات لمساعدة المتضررين من الكوارث الطبيعية(الزلازل، الفيضانات) وذلك من خلال توحيد الجهود والتعاون مع الآخرين من أجل تحقيق أهداف مشتركة، فمن خلال هذه النماذج يشعر أفراد المجتمع بالانتماء والارتباط بعضهم ببعض، فيتكافلون ويتضامنون ويتعاونون فيما بينهم في الأوقات الصعبة.

ب) **التواصل الفعال حول أهمية القيم الاجتماعية:** يجب على الآباء والأمهات التحدث مع أطفالهم عن أهمية هذه القيم وكيفية تطبيقها في الحياة اليومية، ويمكن القيام بذلك من خلال مناقشة قصص حولها أو من خلال المشاركة في أنشطة تطوعية، والتوعية المجتمعية من خلال تنظيم الحملات التوعوية والندوات والمحاضرات التي تسلط الضوء على أهمية هذه القيم، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي من خلال إنشاء صفحات وحسابات خاصة ونشر المحتوى التوعوي والأخبار والصور التي تجسد هذه القيم.

ج) **التعليم بالتجربة:** "عندما يصل الطفل إلى ثلاث سنوات من عمره يستوعب التجارب الاجتماعية من خلال اتصاله بالكبار."[15] فلذلك يجب أن توفر الأسرة فرصا للأفراد للمشاركة في الأنشطة المشتركة وحل المشكلات معا، تعلم هذه الخبرات الأفراد كيفية التفكير في مصلحة الجماعة والعمل معا لتحقيق أهداف اجتماعية مشتركة. ويمكن للأسرة تشجيع الأطفال على القيام بتجربة تقديم المساعدة للآخرين والمشاركة في مشاريع تطوعية أو مبادرات اجتماعية من أجل تطبيق ما تعلموه بشكل مباشر واختباره في الواقع، ويُعد هذا الأسلوب فعالا في ترسيخ قيم التضامن والتكافل والتسامح لدى المتعلمين.

د) **تحفيز الشعور بالمسؤولية الاجتماعية:** يتم ذلك عن طريق توجيه الأفراد في الأسرة للمشاركة في المسؤوليات المنزلية والقيام بالأعمال التي تخدمها لأنها تعتبر أحد القيم التي تكون البناء القيمي الذي يمثل مبحثا أساسيا في الفلسفة و يقوم عليها العمل التطوعي وهي تتضمن أيضا اعتماد الافراد الأخرين وتَقَبُّلِ حقوق الأخرين كما تتضمن مفهوم الأخوة وأن كل إنسان مسؤول عن رعاية أخيه الإنسان والحفاظ عليه[16]. يمكن كذلك للأسرة تعزيز وعي الأفراد بأهمية دورهم في تحقيق التضامن والمساهمة في الخدمة المجتمعية، وذلك من خلال تكوينهم على أداء الواجبات الاجتماعية واحترام حقوق الآخرين والتطوع في الأعمال الخيرية. وتعود هذه المسؤولية الاجتماعية بالعديد من الفوائد على المجتمع، نذكر منها: تحسين جودة الحياة للأفراد من خلال توفير التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية، وتعزيز التنمية الاقتصادية من خلال خلق فرص العمل وتحسين بيئة الأعمال، وبناء مجتمع قوي ومتسامح مع غيره ومتماسك من خلال تعزيز التضامن والتكافل بين أفراده.

ه) **تشجيع النقاش والتفكير النقدي:** يمكن للأسرة تشجيع الأطفال على التفكير بالانفتاح والمشاركة في مناقشات حول قضايا اجتماعية وسياسية تتعلق بالقيم الأسرية وكيف يمكن للأفراد المساهمة في تحقيقها لدى المجتمع، فهناك العديد من الطرق لتشجيع النقاش والتفكير النقدي للتضامن والتكافل، كالقيام بعقد الندوات والمؤتمرات والأوراش التدريبية التي تناقش التضامن والتكافل والتسامح من منظورات مختلفة، ونشر المقالات والكتب والدراسات التي تتناول التضامن والتكافل بشكل نقدي، وتنظيم الأنشطة والفعاليات التي تدعو إلى الحوار والنقاش حول هذه القيم.

و) .**تعزيز القيم والأخلاق:** تلعب الأسرة دورا حاسما في تعزيز القيم والأخلاق التي تسهم في تشجيع التضامن والتكافل والتسامح، من خلال مناقشات حول مفاهيم مثل المساعدة والعطاء والاهتمام بالآخرين وتقبلهم بمختلف ثقافاتهم وخلفياتهم، مما يجعل الأطفال يتمكنون من تطوير وفهم أفضل لهذه القيم التي تؤثر إيجابا على سلوكاتهم.

ز) **توجيه السلوك:** يمكن للأهل ولأولياء الأمور توجيه سلوك أفراد الأسرة نحو تحقيق قيم التضامن والتكافل والتسامح من خلال تشجيع الأطفال على المشاركة في الأنشطة المجتمعية والعمل الخيري والمشاركة في الأعمال الاجتماعية والتفاعل مع الجيران والأصدقاء والمجتمع المحيط ككل، وهذا ما يساعد الأطفال على تعلم أهمية بناء علاقات إيجابية وتكوين صداقات وعلاقات تستند إلى هذه القيم الرشيدة.

وأخيرا يعتبر توجيه سلوك الفرد في المجتمع للتضامن والتكافل والتسامح مسؤولية الجميع لأنه بذلك يمكننا من بناء مجتمع أكثر قوة وتماسك.

ح) **التربية على المحبة والرحمة:** إن الأسرة هي المكان الأول الذي يتعلم فيه الطفل معنى المحبة والرحمة، وهما أساس التضامن والتكافل والتسامح الذي نصت عليه الكثير من الدراسات التربوية الحديثة التي أرجعت العديد من الاضطرابات العقلية والنفسية عند الطفل إلى افتقاده المحبة وحاجته إلى العطف[17]، فلا يمكن القيام بمساعدة في مجتمع

تسوده الكراهية والضغائن والأحقاد بين أفرادها، لذلك يجب الحرص على تربية الأبناء على هذه القيم من خلال التعامل معهم بحب ورحمة، وتقديم العطف والمودة لهم.

فالمحبة والرحمة من القيم الإنسانية النبيلة التي تسهم في بناء مجتمعات متعاونة، مترابطة ومتماسكة، وعندما يشعر الإنسان بالحب والرحمة تجاه الآخرين، فإنه يكون أكثر استعدادا للتضامن معهم والتكافل معهم في السراء والضراء، والتعايش معهم في بيئة واحدة رغم الاختلافات، كما تتمثل أهمية التربية على المحبة والرحمة التي هي أساس التضامن والتكافل فيما يلي:

- تمتين الروابط الاجتماعية: تؤدي التربية على المحبة والرحمة إلى تعزيز وتمتين الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، حيث تجعل الناس أكثر ميلا إلى التعاون والتآزر مع بعضهم البعض.

- تقليل الصراعات: تساعد التربية على المحبة والرحمة في تقليل الصراعات بين أفراد المجتمع، حيث تجعل الناس أكثر تفهما لمشاعر بعضهم البعض وأكثر استعدادا للتسامح.

- تعزيز العدالة الاجتماعية: تساعد التربية على المحبة والرحمة على تعزيز العدالة الاجتماعية، حيث تجعل الناس أكثر التزاما بمساعدة الآخرين، وخاصة الفئات الضعيفة.

كما أن هناك العديد من الأساليب التي يمكن من خلالها التربية على المحبة والرحمة لغرس التضامن والتكافل في أفراد المجتمع، ومن أهمها التربية الأسرية التي يجب أن يكون فيها الآباء والأمهات هم القدوة الحسنة لأبنائهم في ممارسة المحبة والرحمة من خلال تعاملهم الطيب معهم ومع الآخرين أيضا، والتربية المدرسية التي تركز المناهج الدراسية فيها على غرس قيم المحبة والرحمة في نفوس المتعلمين من خلال الأنشطة والبرامج التربوية المختلفة، والتربية الدينية التي تشجع على ممارسة المحبة والرحمة مع المخلوقات كلها، ولذلك يجب أن يتم التركيز فيها على قيم التسامح والتضامن والتكافل، والتربية الإعلامية هي الأخرى التي يجب فيها أن تحرص وسائل الإعلام على نشر قيم المحبة والرحمة من خلال البرامج والأفلام والمسلسلات التي تتناول هذه القيم.

من خلال ما سبق ذكره فإن التربية على المحبة والرحمة هي ضرورة أساسية لبناء مجتمعات متعاونة ومترابطة ومتكافلة ومتضامنة ومتسامحة، فعندما نربي أطفالنا على هذه القيم فإننا نساهم في خلق عالم أفضل يتشارك فيه الجميع بفضل هذه القيم.

خلاصة القول إن الأسرة تلعب دورا حاسما في تعزيز قيم التضامن والتكافل والتسامح من خلال تعزيز التعليم والمثال الحي وتشجع على المشاركة الاجتماعية والتفكير النقدي حول هذه القيم الهامة في تربية الأبناء، كما أنها تحرص على تطبيقها في الحياة اليومية.

4) تجليات قيم التضامن والتكافل والتسامح في الأسرة المغربية

تُعد الأسرة المغربية من أهم المؤسسات الاجتماعية في المجتمع المغربي، حيث تلعب دورا هاما في ترسيخ قيم التضامن والتكافل والتسامح بين أفراد المجتمع، وتتمثل تجليات هذه القيم في الأسرة المغربية في الآتي:

أ) **التكافل الاجتماعي**: تتسم الأسرة المغربية بالترابط والتماسك، حيث يحرص أفرادها على مساعدة بعضهم البعض في السراء والضراء، ويظهر ذلك في مساعدة الوالدين لأبنائهم في الدراسة والعمل، ومساعدة الأبناء لوالديهم في الكبر، ومساعدة الإخوة بعضهم البعض في مختلف شؤون الحياة، حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم شبه المؤمنين في تعاونهم وتعاطفهم وتوادهم وتكافلهم واتحادهم بالجسد الواحد رغم اختلاف الأعضاء وتواجدهم في أماكن مختلفة، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى."[18]، ويستند هذا التكافل الاجتماعي في الأسرة المغربية إلى مجموعة من الأسس، نذكر منها:

- **الدين الإسلامي** :يحث الدين الإسلامي على التكافل الاجتماعي، حيث قال الله تعالى في محكم تنزيله: "**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**[19]." كما يحث أيضا على التسامح الذي يُعَدُّ من القيم الأساسية في الثقافة المغربية، بحيث يتقبل أفراد المجتمع بعضهم البعض رغم اختلافاتهم الدينية والثقافية والاجتماعية

والذي يتجلى في كون أفراد المجتمع المغربي يحترمون الأديان والثقافات المختلفة، و يؤمنون بحق الجميع في ممارسة معتقداتهم الدينية بحرية، ويتقبلون الآخر رغم اختلافه معهم في اللغة والدين واللون والثقافة، فهم يؤمنون بأهمية التنوع والاختلاف.

- **الثقافة المغربية** :تتميز الثقافة المغربية بقيم التضامن والتكافل والتسامح، حيث يحرص أفراد المجتمع على مساعدة بعضهم البعض في السراء والضراء، ويظهر ذلك في مجموعة من الممارسات، كمساعدة المحتاجين التي يحرص أفراد المجتمع المغربي على تقديمها سواء أكانت مادية أو معنوية، والتعاون في الأعمال الخيرية مثل بناء المساجد والمدارس ومساعدة الفقراء والمحتاجين والمنكوبين والمتضررين من كوارث طبيعية(الزلازل) أو بيئية أو في حالات الطوارئ، كما أنهم يشاركون بعضهم البعض في المناسبات السعيدة والحزينة كالأعراس والأفراح والأعياد والمآتم.

- **الظروف الاقتصادية** :تلعب الظروف الاقتصادية دورا مهما في تعزيز التكافل الاجتماعي، حيث تؤدي الظروف الصعبة إلى زيادة الحاجة إلى مساعدة من الآخرين، كما أن لها تأثير كبير على مستوى التكافل الاجتماعي في المجتمعات، نظرا لكون مجموعة من الأشخاص يعيشون صعوبة في تلبية احتياجاتهم الأساسية مثل الغذاء والمأوى والرعاية الصحية، مما يزيد من احتياجهم للمساعدة من طرف الآخرين والمجتمع بشكل عام.

هذا ويمكن أن يشجع ذلك على تكوين شبكات تكافل اجتماعي أقوى، حيث يقوم الأفراد والمؤسسات بتقديم المساعدة للأشخاص الذين يعانون من صعوبات اقتصادية، كالدعم المالي المؤقت للأسر المتضررة إلى حين تجاوزها للأزمة.

تؤكد الظروف الاقتصادية الصعبة على مدى أهمية التكافل الاجتماعي والتعاون المجتمعي في تقديم الدعم والمساعدة للأفراد الذين يحتاجون إليها في الأوقات الصعبة، وهذا هو ما يعزز التماسك الاجتماعي والتضامن بين أفراد المجتمع.

- **الظروف الاجتماعية:**

التكفل بالوالدين في الكبر: يحرص الأبناء على مساعدة والديهم في الكبر، حيث يوفرون لهم الرعاية والاهتمام، لأن ذلك يعتبر واجبا دينيا وأخلاقيا، كما أنها تعبير عن التكافل الأسري. فالأبناء هم ثمرة عمر والديهم، وقد بـــذلوا الكثير من الجهد والتعب في تربيتهم ورعايتهم، لذلك فمن حقهم أن يحظوا بالرعاية والاهتمام من أبنائهم في كبرهم. وهذا الأمر يتجلى بكثرة في أخلاق المغاربة بحيث نجد أن الأبناء يعملون على توفير الرعاية الصحية اللازمة لوالـــديهم من خلال الإنفاق عليهم بشراء مواد التغذية السليمة والأدوية اللازمة، واصطحابهم إلى الطبيب عند الحاجة، وتـــوفير الرعاية الاجتماعية لهم من خلال قضاء الوقت معهم سواء في المناسبات الدينية أو المناسبات العائليـــة، والاســـتماع إليهم، ومشاركة اهتماماتهم، وكذلك الرعاية المالية من خلال توفير نفقات المعيشة أو المساعدة في دفع الفواتير.

كما نجد الأسرة المغربية تحتضن اليتامى والأرامل والمتخلى عنهم واللاجئين وتتكفل بهم وتقدم لهـــم كـــل الإمكانيات المتوفرة والتي في استطاعتها سواء أكانت مادية كتوفير الاحتياجات الأساسية من مأكل ومشرب وملبس وسكن وعلاج، أوتربوية وتعليمية كتوفير التعليم والرعاية التربوية قصد إعدادهم للمستقبل ودمجهم في المجتمع وتحقيق طموحاتهم، أو نفسية واجتماعية كتوفير الدعم النفسي والاجتماعي لتجاوز معاناتهم وبناء حيـــاة أســـرية مســـتقرة مستقبلا.

ب) **التسامح:** تتميز الأسرة المغربية بثقافة التسامح، حيث يتقبل أفرادهـــا بعضـــهم الـــبعض رغـــم اختلافاتهم اللغوية والثقافية والاجتماعية، ويظهر ذلك في احترام الكبير والصغير، والرحمة بالضعيف، والعفـــو عـــن المسيء، وبذلك فهي المسؤولة عن تنشئة جيل متسامح يحترم الآخر بغض النظر عن اختلافاته، ولها مكانة مهمـــة في ترسيخ قيم التسامح من خلال مجموعة من العوامل، نذكر منها:

- التربية الدينية السليمة: تحث تعاليم الدين الإسلامي على التسامح[20] والرحمة، ولذلك فإن الأسرة المغربية التي تربي أطفالها على القيم الإسلامية تكون أكثر تسامحا، لأنها تعمل على ترسيخ قيم التسامح واحترام الآخر في نفوس النشء منذ الصغر وتساهم في تكوين شخصية متسامحة ورحيمة، تتقبل الاختلاف وتحترم الآخرين.

- التنوع الثقافي: المجتمع المغربي متنوع ثقافيا، وهذا التنوع يساهم في تعزيز التسامح بين أفراد الأسرة ويجعلهم لحمة واحدة عند التصدي لمختلف التهديدات و الكوارث الطبيعية بعيدا عن كل الاختلافات، فالأسرة المغربية المتسامحة هي الأسرة التي تتقبل اختلافات أفرادها، سواء أكانت هذه الاختلافات في الرأي أو التوجه أو المعتقد.

- التواصل والحوار: إن الأسرة التي تشجع على التواصل الفعال والحوار المثمر بين أفرادها تكون أكثر تسامحًا، لأن الحوار يساعد على فهم وجهات النظر المختلفة وعلى احترام حقوق الآخرين سواء كانوا من أفراد الأسرة أو من خارجها.

يلعب التسامح في الأسرة المغربية دورا مهمًا في تعزيز السلم الاجتماعي والوئام بين أفراد المجتمع، فالأسرة المغربية المتسامحة هي التي تساهم في بناء مجتمع عادل ومتسامح.

رابعا: التحديات والمعيقات التي تواجه صمود الأسرة المغربية للحفاظ على القيم

تواجه الأسرة المغربية شأنها شأن جميع الأسر في جميع بلدان العالم العديد من التحديات والمعيقات في محاولتها الحفاظ على القيم التقليدية والاجتماعية، وفيما يلي بعض هذه التحديات والمعيقات:

أ) التحديات السياسية

تعتبر التغيرات في السياسات الحكومية والقوانين من أبرز التحديات الوطنية التي يمكن أن تؤثر بشكل كبير على ممارسات وقيم الأسرة المغربية، ومن بين هذه التغيرات نجد ما يلي:

- **حقوق المرأة:** تواجه الأسر المغربية تحديات في مجال حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين، وتغيرات في السياسات والقوانين التي تعزز حقوق المرأة كما تواجه مقاومة من بعض الإيديولوجيات في المجتمع، على سبيل المثال، مشكلات مثل الزواج القسري والعنف المادي والرمزي ضد النساء وعدم توثيق للزواج لحفظ الحقوق، مما يستوجب ترسانة قانونية تعزز حقوق المرأة.

- **الزواج القسري وتزويج القاصرات:** الزواج القسري وتزويج القاصرات هما ظاهرتان مترابطتان، حيث أن الزواج القسري غالبًا ما يتضمن تزويج القاصرات. الزواج القسري هو الزواج الذي يتم فيه إجبار أحد الطرفين أو كليهما على الزواج دون موافقته أو موافقتها الحرة، أما تزويج القاصرات فهو الزواج الذي يتم فيه تزويج شخص دون سن 18 عامًا،

ويعود ذلك لعدة أسباب منها، التقاليد والعادات الاجتماعية، ففي بعض المجتمعات يعتبر زواج القاصرات تقليدا أو عادة اجتماعية، إضافة إلى الظروف الاقتصادية التي يتم استغلالها من طرف البعض لتزويج الفتيات القاصرات قسرا بهدف تحسين الظروف الاقتصادية لأسرهن، وأخيرا العنف الأسري الذي يحضر في بعض الحالات التي يتم فيها تزويج الفتيات القاصرات للحماية من هذا العنف الأسري.

- **الحق في التعليم:** على الرغم من التطورات في نسب تلقي التعليم في المغرب، إلا أن هناك تحديات لا تزال قائمة تتعلق بتوفير فرص التعليم المتساوية للنساء والفتيات، لأن الحق في التعليم هو حق أساسي من حقوق الإنسان، وهو حق أساسي أيضا للتنمية البشرية، فالتعليم هو أداة قوية للتغيير الاجتماعي والاقتصادي، ويمكن أن يساعد في تحسين حياة الأفراد والمجتمعات، ولكن بالرغم من هذه التطورات الحاصلة في هذا الميدان فإن حق تعليم الفتاة لازال يواجه مجموعة التحديات، كالزواج المبكر، التمييز، الافتقار إلى الموارد، ومن بين الحقوق الشرعية للمرأة هو الحق في العمل لكن النساء في المغرب لازلن يواجهن أحيانا صعوبة في الوصول إلى فرص العمل والتقدم في مجالات معينة نتيجة للتمييز الجنسي.

- **قضايا الأسرة:** تغيرات في القوانين المتعلقة بالأسرة، مثل قوانين الزواج والطلاق، يمكن أن تؤثر على استقرار الأسرة وممارساتها، قد تحدث مناقشات حادة حول قضايا مثل العمر القانوني للزواج وحقوق الزوج والزوجة في حالة الطلاق وحضانة الأطفال.

وخلاصة القول أنه من أجل تحقيق التوازن بين الأفراد وتطبيق العدالة وضمان استقرار الأسرة لابد من سن ترسانة من القوانين المتعلقة بالأسرة التي تعكس قيم المجتمع وتحافظ على حقوق جميع أفراد الأسرة.

- **تأثير العولمة:** تتعرض الأسر المغربية لتأثيرات العولمة ووسائل الإعلام الحديثة، مما يؤدي إلى تغييرات في أساليب الحياة والقيم والثقافة الاستهلاكية، "فالعولمة تمثل تحديا للمجتمعات البشرية عموما بتأثيراتها المختلفة والمتشعبة فوسائل الاتصال كأحد مظاهر العولمة والانفجار المعرفي حولت العالم إلى قرية كونية صغيرة...إذ انهارت الحدود الثقافية وسادت ثقافة الانترنيت."[21] ويساهم هذا التأثير سلبا على التقاليد والقيم، وفي تقليص التمييز بين الثقافات التي تؤدي إلى التعرض المتزايد لتيارات الثقافات الغربية عبر وسائل الإعلام الحديثة، والذي يؤدي بدوره إلى فقدان هويتهم الثقافية الخاصة واندماجهم في ثقافة عالمية موحدة، الشيء الذي يزيد من الاستقلالية الاقتصادية للمرأة إلى زيادة فرص عملها، مما يمنحها استقلالية اقتصادية أكبر ويساهم في تغيير طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في الأسرة، وهو ما ينتج عنه تَغيُّر في بنية الأسرة.

فضلا عن ذلك تؤثر العولمة على زيادة معدلات الطلاق نتيجة الفشل الأسري وانتشار العنوسة وتشرد الأطفال، فبحسب الإحصائيات الرسمية[22]، فإن معدل الزواج في المغرب انخفض من 7.9 لكل ألف نسمة سنة 2004 إلى 6.3 لكل ألف نسمة سنة 2022. كما ارتفع معدل الطلاق من 1.7 لكل ألف نسمة سنة 2004 إلى 2.7 لكل ألف نسمة سنة 2022.

ب) **التحديات الاقتصادية:** تؤثر الأوضاع الاقتصادية الصعبة على الأسرة وتجبرها على التركيز على الاقتصاد بدلا من القيم والتقاليد، وقد تضطر بعض الأسر إلى العمل بدوام كامل أو بدوام جزئي لتحقيق الاستدامة المالية.

وهذه التحديات هي عبارة عن تغييرات كبيرة تمس البنية الاقتصادية لمجتمع المغرب وتؤثر على الأفراد والأسر بشكل مباشر أو غير مباشر، ومن بين هذه التأثيرات نجد الضغوطات المالية التي تكون فيها الأوضاع الاقتصادية الصعبة عادة مصحوبة بزيادة في التكاليف وانخفاض في الدخل، وقد يجد الأفراد أنفسهم مضطرين للعمل بدوام كامل أو جزئي لتحسين استدامتهم المالية وتلبية احتياجات الأسرة الأساسية، فينصب التركيز على الاقتصاد بتحويل اهتمام الأسرة من بناء القيم والتشبع بالتقاليد إلى الاهتمام بالأمور المالية، وهو الأمر الذي يؤدي إلى التقليل من الوقت الذي يقضيه الأفراد معا وزيادة التوتر داخل الأسرة، والتقليل أيضا من الموارد المتاحة للأسرة قصد المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع الذي تنتمي إليه، لتنعزل بذلك عن مجتمعها فتنقطع العلاقات الاجتماعية التي تسودها تلك القيم التي تبث الروح في المجتمع، ويتأثر أيضا بفعل هذه العوامل مجال التعليم بترك الأطفال في المدرسة من أجل العمل لمساعدة ودعم الأسرة وهذا الانقطاع في العلاقات الاجتماعية يحول دون اكتساب القيم الفضلى التي تقوم عليها الأجيال المتعاقبة.

ولمواجهة هذه التحولات الاقتصادية بشكل فعال، يجب على الأسر العمل على تنمية مهارات تحمل أعباء الأسرة وإدارة الضغوط المالية، وتعزيز التواصل الأسري والاهتمام بالقيم والتقاليد الثقافية التي تميزهم عن غيرهم، كما يمكن البحث عن مصادر دعم مالي إضافي لتحقيق الاستدامة في الوقت الصعب دون التخلي عن المهام الأسرية.

ج) **التحديات التعليمية:** تعترض الأسر في توجيه أبنائها نحو التعليم الجيد والثقافة العريقة مجموعة من التحديات التعليمية والتقنية الحديثة، ومن بين هذه التحديات نجد تكاليف التعليم الجيد الذي يكون مكلفا على

الأسر المتوسطة والفقيرة التي تمثل الشريحة الواسعة في المجتمع ، فالأسر قد تجد صعوبة في توفير تكاليف الكتب والرسوم الدراسية والمواد التعليمية، مما يعرقل فرص التعليم لأبنائها، كما أن الوصول إلى التعليم الجيد في بعض المناطق يعرف نقصا في البنية التحتية التعليمية و نقصا كذلك في الأطر التربوية، الأمر الذي يؤثر سلبًا على جودة التعليم المتاح وتكافؤ الفرص، بالرغم من أن التكنولوجيا تلعب دورًا مهما في ميدان التربية والتعليم، إلا أن الأسر تواجه صعوبة في توفير الأجهزة الذكية والاتصال بالإنترنت الضروري للتعليم عن بعد.

يمكن للأسر التغلب على هذه التحديات بالاعتماد على مجموعة من الاستراتيجيات كالبحث عن برامج تعليمية بأسعار معقولة، واستخدام التكنولوجيا المتاحة لزيادة الوصول إلى المواد التعليمية، وتعزيز قيم الدراسة والتعلم في المنزل، والتواصل مع المدارس والمدرسين للمساعدة في تحسين جودة التعليم.

د) **التحديات الاجتماعية:** تواجه الأسر المغربية على غرار بعض الأسر في العالم تحديات اجتماعية، مثل البطالة، وتزايد معدلات الطلاق، وزيادة معدلات الهجرة الداخلية والخارجية، مما يمكن أن يؤثر على استقرار الأسرة وتماسكها، ومن هذه التحديات نجد على رأسها البطالة التي تعتبر تحديا كبيرا في المغرب، خاصة بين الشباب، وتتجلى في قلة الفرص الوظيفية مما يؤثر على الاستقرار المالي للأسر ويزيد من الضغوط الاقتصادية للأسرة، الأمر الذي ينتج عنه زيادة في معدلات الطلاق وتابعاتها التي تؤثر على الأطفال المنفصلين عن أحد الوالدين مما يزيد من الحاجة إلى دعم الأسرة، وكل هذه الضغوطات تزيد من معدلات الهجرة الداخلية والخارجية التي تعتبر تحديا كبيرا هي الأخرى، حيث يبحث الكثيرون عن فرص أفضل في المدن الكبيرة داخل المغرب أو خارج في البلدان المتقدمة، ناهيك عن الفقر الذي يجعل الحياة صعبة على العديد من الأسر المغربية خصوصا وأن نسبة مهمة تعيش تحت عتبة الفقر، مما يؤثر على صحة وتعليم الأطفال.

للتغلب على هذه التحديات، تحتاج المجتمعات المغربية إلى دعم اقتصادي أفضل، وتعزيز فرص التعليم والتدريب المهني، وتشجيع الوعي بحقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين، وتعزيز الدعم الاجتماعي والاقتصادي للأسر المحتاجة، وتعزيز الثقافة الاجتماعية للحوار وحل النزاعات بشكل بناء.

ه) **التحديات الثقافية:** تواجه الأسر الكثير من التحديات في الحفاظ على اللغة والهوية الثقافية في وجه تغيرات العصر، كالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية في العصر الحديث، ومن بين التحديات الثقافية التي قد تواجهها الأسر في المغرب، نجد فقدان اللغة والهوية مع تزايد الاتصال مع العالم الخارجي وتأثير وسائل الإعلام العالمية، وهذا ما يجعل الأفراد يواجهون ضغوطات لاستخدام لغات أجنبية قصد التواصل مع العالم الخارجي، مما يؤدي إلى فقدان الهوية اللغوية والثقافية، كما تساهم التأثيرات الثقافية للهجرة الداخلية والخارجية للمغاربة في تأثرهم بثقافات مختلفة وتجارب جديدة، مما يؤثر على الهوية الثقافية المغربية التقليدية ويخلق توترات بين الثقافات.

إضافة إلى أن بعض التقاليد والقيم الموروثة متضاربة مع التطورات الاجتماعية والثقافية الحديثة، مما يخلق توترا داخل الأسرة المغربية، فينشأ التضارب نتيجة اختلافات في الرؤى والقيم بين أجيال مختلفة داخل الأسرة، والسؤال يطرح نفسه هو كيف يحدث هذا التضارب؟

يحدث التضارب بين التقاليد القديمة والثقافة الحديثة داخل الأسرة الواحدة، كدور المرأة في بعض الثقافات القديمة، حيث كانت النساء مقيدات بأدوار تقليدية تشمل الاهتمام بالأسرة والبيت دون مشاركة كبيرة في العمل أو اتخاذ القرارات الهامة، أما في الثقافة الحديثة فإنه تسعى معظم النساء وتطالب بالمساواة في الحقوق والفرص والمشاركة الكاملة في مختلف المجالات إلى جانب الرجل من أجل مكاسب تحقيق الرفاهية الشخصية على حساب الأسرة، مما يخلق توترا بين الأجيال ويزعزع استقرار الأسرة.

كذلك الشأن بالنسبة للزواج فيما يخص اختيار الشريك فإنه نجد في بعض الثقافات القديمة أنه يتم اختياره بواسطة العائلة أو بناء على اعتبارات تقليدية، مثل العرق أو الطبقة الاجتماعية، على عكس الثقافة الحديثة التي يتم فيها اختياره بناء على الحب والتوافق الشخصي واعتبارات أخرى لا يمكن حصرها وتختلف من أسرة لأخرى.

و) **التحديات التكنولوجية:** تنتشر وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا بسرعة في المجتمع المغربي، مما يؤدي إلى تغييرات في تفاعل الأسر مع الثقافة وتأثيرها في أفرادها، ومن بين هذه التحديات نجد انقسام الأجيال نتيجة انتشار التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث تكون الأجيال الأكبر سنا أقل تفاعلا مع هذه التقنيات مقارنة بالأجيال الأصغر سنا، الأمر الذي يخلق فجوة ثقافية وتواصلية بين الأجيال، كما أن الاعتماد المفرط على هذه الوسائل يؤدي إلى تغيير نمط الحياة والعلاقات الاجتماعية الشيء الذي يؤثر سلبا على العلاقات الأسرية إذا استغرق ذلك وقتا أطول أمام الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي بدلا من التفاعل المباشر مع الأسرة، كذلك انتشار الأخبار الزائفة عبر هذه الوسائل تعد واحدة من أكبر التحديات التي تؤثر سلبا على الثقافة والمعرفة في المجتمع المغربي. ناهيك عن انتهاك الخصوصية والأمان الرقمي الذي عرف زيادة بالانفتاح على عالم التكنولوجيا، فأصبح الأمر الأهم للأفراد والأسر هو الحفاظ على خصوصيتهم وأمان معلوماتهم الشخصية عبر الإنترنت.

ولمعالجة هذه التحديات، يجب على المجتمع المغربي التفكير في تنمية وعي تكنولوجي وتعليم الأفراد كيفية استخدام التكنولوجيا بشكل آمن ومسؤول، كما يجب أيضا تشجيع الحوار والتفاعل الاجتماعي داخل الأسر للحفاظ على الروابط الأسرية والثقافية.

خاتمة وتوصيات

على الرغم من تعدد الأدوار الإيجابية والتفاعلية للأسرة وبروز الحاجة الماسة إليها، باعتبارها النواة الصلبة لاستقرار أي مجتمع ولغرس قيم التضامن والتكافل والتسامح إلا أن الأسرة في الآونة الأخيرة باتت قاب قوسين أو أدنى من الانهيار أمام هبة العولمة وصعود الرأسمالية المتوحشة وتفشي القيم الليبرالية الفردانية التي لا تعير أدنى اهتمام للروابط الأسرية والاجتماعية. ولهذا نرى أن هناك حاجة ماسة للقيم الأسرية التي يستوجب على الحكومات دعمها والدفاع عنها حتى يتحقق التماسك والتضامن بين أفراد المجتمعات، ولعل الأسرة المغربية في حاجة ملحة لإعادة الاعتبار ولمكانتها من طرف كل الفاعلين في كل المجالات لأنها هي صمام الأمان أمام تفكك الاجتماعي أمام زيادة ظواهر الطلاق والعنوسة التي أضحى يعيشها المجتمع المغربي في الآونة الأخيرة.

ولتجاوز هذه الأزمات الأسرية نقترح هذه الحلول والتوصيات:

- نشر التعليم والوعي بأهميته: من الضروري تعزيز التعليم والوعي الأسري لمساعدة الأسر المغربية على مواجهة التحديات التي تواجهها، وجعل التعليم مشتلا لغرس القيم كالتضامن والتكافل والتسامح.

- يجب توفير فرص عمل للشباب المغربي للحد من البطالة والفقر لزيادة الإنتاج الاقتصادي وتغيير الوضعية المادية التي تعزز قيم التضامن والتكافل.

- من الضروري محاربة العنف الأسري وتعزيز ثقافة التسامح والاحترام بين أفراد الأسرة.

- من الضروري دعم الأسرة المستقرة وتعزيز دورها في المجتمع للحد من ظاهرة الهجرة الداخلية والخارجية والحفاظ على التماسك الأسري.

- تعزيز التماسك الأسري الذي يحافظ على قيم الأسرة ويغرسها في الأجيال اللاحقة.

- الوعي بمخاطر الإدمان بوسائل التواصل الاجتماعي وانعكاساته على الوضعية الأسرية.

- مواكبة الآباء لأطفالهم في محيط المدرسة قصد توجيههم ومراقبتهم وتتبعهم للحد من الفشل المدرسي، وتقديم القدوة الحسنة للأطفال، كونهم يتعلمون من خلال تقليد والديهم وكبار السن في حياتهم، لذلك يجب على الآباء والأمهات أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم في الالتزام بالقيم.

- يجب على الأسرة استغلال الأعمال اليومية لغرس القيم في نفوس أبنائها، مثل تعليمهم قيم التضامن والتكافل والتسامح.

- يجب على الآباء والأمهات أن يعززوا أعمال أبنائهم عندما يتصرفون بطريقة تتوافق مع القيم، وذلك من خلال الثناء والمكافأة.

الهوامش:

[1]. مصطفى خشاب، علم الاجتماع، عالم الكتب القاهرة، 1985، ص54.

[2] . عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في المجتمع المدينة العربية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1995

[3]. زيدان عبد الباقي، الأسرة والطفولة، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة العربية مصر، 1980، ص:06.

[4] . تركي رابح، أحوال التربية والتعليم، الطبعة الثامنة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،1985، ص: 236.

[5]. محمد أحمد، محمد البيومي وآخرون، علم الاجتماع العائلي، دار المعارف الجامعية الإسكندرية، 2003، ص20-21.

[6] . محمد حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت،1981، ص:2.

[7]. أنظر مقال ل "Renate Douwes «، مفهوم التضامن الاجتماعي، منشور في موقع nih.gov تمت مراجعته في 2022/1/20.

[8] عبدالله ناصر علوان، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، الإصدار الأول، ص:9.

[9]. الغالي أحرشاو، الطفل بين الأسرة والمدرسة، منشورات علوم التربية، العدد 19، ط 1، 2009، ص،29.

[10]. الغالي أحرشاو، الطفل بين الأسرة والمدرسة، منشورات علوم التربية، العدد 19، ط 1، 2009، ص:13.

[11]. فمن أفضل الدراسات الاجتماعية التي عالجت هذه النقطة نجد تلك التي قام بها "ستينت"وزملائه على مدى عشر سنوات وتركزت على عوامل تماسك الأسرة ونجاحها، وقد جمعت المعلومات الخاصة بهذه الدراسات من 16000أسرة من جميع الولايات الأمريكية، إلى جانب هذا قاموا بدراسة خمسة وعشرين من الأزواج والزوجات والأطفال، وكان المحور الأساسي لهذه الدراسات هو ما: هي عوامل نجاح الأسرة؟ وما هو طريق السعادة في ظل الأسرة؟ وتوصلت جميع الدراسات إلى وجود ستة عوامل رئيسية تؤدي إلى سعادة الأسرة ونجاحها تكمن فيما يلي:1) الالتزام.2) التواصل الإيجابي. 3)قضاء الوقت سويا. 4)التوافق الروحي. 5)القدرة على مواجهة الضغوط النفسية. 6)التقدير والمحبة. انظر نبيل حليلو، الأسرة وعوامل نجاحها، من أعمال الملتقى الوطني الثاني، الاتصال وجودة الأسرة، أبريل 2013، جامعة ورقلة، ص6.

[12]. هي الأسرة التي تتكون من الأب والأم والأبناء.

[13]. هي الأسرة التي لا ينفصل عنا أبناؤها الذكور بعد زواجهم فتجد الأب والأم وأولادهم وزوجات الأولاد وأبناء الأولاد وهذا الصنف قد يكون شبه منعدم في هذه الأزمان بسبب ظروف العيش والعمل في مكان غير مكان الأب فنجد أن الأسرة النووية هي المنتشرة في وقتنا الحالي. انظر بحث لنيل شهادة الماستر من إنجاز مثيب البقمي والمعنون بإسهام الأسر في تنمية القيم الاجتماعية لدى الشباب، جامعة أم القرى، ص 88.

[14]. الغالي أحرشاو، المرجع نفسه، ص:17.

[15]. بسام محمد أبو عليان، الحياة الأسرية، مكتبة الطالب الجامعي خانيونس،2013، ط1، ص122.

[16]. شروق بنت عبد العزيز الخليف، محمد بن خليفة إسماعيل، المواطنة وتعزيز العمل التطوعي، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسة المرأة، الرياض، 2013، ص116.

[17]. فاخر عاقل، معالم التربية، دار العلم للملايين، بيروت، 1964، ط1، ص61.

[18]. حديث أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (4/ 1999)، برقم: (2586)، والبخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (8/ 10) برقم: (6011)، بلفظ" :ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى."

[19]. القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 2.

[20] . ومن مظاهر التسامح الدين الإسلامي أن كانت الوظائف تعطى للمستحق الكفء، بقطع النظر عن عقيدته ومذهبه، وبذلك كان الأطباء المسيحيون في العهدين الأموي والعباسي محل الرعاية لدى الخلفاء"، مصطفى السباعي مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا دار الوراق للنشر والتوزيع، ص138.

[21]. شروق بنت عبد العزيز الخليف، محمد بن خليفة إسماعيل، المواطنة وتعزيز العمل التطوعي، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسة المرأة، الرياض، 2013، ص137.

[22]. المندوبية السامية للتخطيط، المغرب.